

# فتح المجلد

شرح كتاب التوحيد

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي

راجع حواشيه وصحته وغلن عليه سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

دار السلافة

الرياض

دار الفيحاء

دمشق

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، - كالمبتدعة والمشركين - وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقِيُوم السماوات والأرضين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فإن كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup> أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن أجاب دعوته إلى يوم يقوم الحساب - قد جاء بديعاً في معناه - من بيان التوحيد ببراينه، وجمع جُملاً من أدلته لإيضاحه وتبيينه. فصار علماً للموحدين، وحُجَّةً على الملحدين. فانتفع به الخلق الكثير، والجُمُ الغفير. فإن هذا الإمام رحمه الله في مبدأ مَنْشئه قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بعث به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما كان عليه الكثير من شرك المشركين، فأعلى الله همته، وقوى عزيمته، فتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد - الذي هو أساس الإسلام والإيمان - ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار والقبور، والطواغيت والأوثان، وعن الإيمان بالسحرة والمنجّمين والكُهَّان. فأبطل الله بدعته كل بدعة وضلالة يدعو إليها كل شيطان، وأقام الله به علم الجهاد، وأذحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودانَ بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد. وانتشرت دعوته ومؤلفاته في الآفاق، حتى أقرَّ له بالفضل من كان من أهل الشقاق. إلا من استحوذ عليه الشيطان. وكره إليه الإيمان، فأصر على العناد والطغيان. وقد أصبح أكثر أهل جزيرة العرب بدعوته، كما قال قتادة رحمه الله عن حال أول هذه الأمة: «إن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم، وضاق بها إبليس وجنوده. فأبى الله إلا أن

(١) ولد في العُيُنة سنة ١١١٥ هـ وتوفي بالدرعية سنة ١٢٠٦ هـ رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابتدأ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملاً بحديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع». أخرجه ابن حبان من طريقين . قال ابن الصلاح : والحديث حسن . ولأبي داود وابن ماجه «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع». ولأحمد «كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أثبت أو أقطع». وللدارقطني عن أبي هريرة مرفوعاً «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع» .

والمصنف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة ؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر للحديث المتقدم . وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته ، كما في كتابه لِهَرَقْلَ عظيم الروم <sup>(١)</sup> . ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة ، وثنى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ وآله . وعلى هذا : فالابتداء بالبسملة حقيقي ، وبالحمدلة نسبي إضافي ، أي بالنسبة إلى ما بعد الحمد يكون مبدوءاً به .

والباء في «بسم الله» متعلقة بمحذوف ، واختار كثير من المتأخرين كونه فعلاً خاصاً ، متأخراً .

أما كونه فعلاً ، فلأن الأصل في العمل للأفعال .

وأما كونه خاصاً ، فلأن كل مبتدئ بالبسملة في أمر يُضْمَرُ ما جعل البسملة مبدأً له .

وأما كونه متأخراً ، فلدلالته على الاختصاص ، وأدخل في التعظيم ، وأوفق للوجود ، ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى .

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى لحذف العامل فوائد ، منها : أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله . ومنها : أن الفعل إذا حُذِفَ صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة . فكان الحذف أعم . انتهى ملخصاً .

(١) رواه البخاري في حديث أبي سفيان الطويل الذي رواه عن ابن عباس في كتاب بدء الوحي .

وباء «بسم الله» للمصاحبة. وقيل: للاستعانة. فيكون التقدير: بسم الله أوْلَفَ حال كوني مستعيناً بذكره، متبركاً به. وأما ظهوره في ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [علق: ١] وفي ﴿يَسْمِ اللَّهَ بِحَبْرِنَهَا﴾ [هود: ٤١] فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم: مشتق من السُمُو وهو العلو. وقيل: من الوَسْم وهو العلامة، لأن كل ما سُمِّي فقد نُوِّه باسمه ووُسِم.

قوله: (الله) قال الكسائي والفرّاء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاماً واحدة مشددة مُفَخَّمة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله. الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجهور أصحابه إلا من شذَّ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة؛ ونحن لا نعني بالاشتقاق، إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحلة للمصدر والمشتق منه: أصلاً وفرعاً، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر بن جرير: «الله» أصله «الإله»، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة. وأما تأويل «الله» فإنه على معنى ما روي لنا عن عبدالله بن عباس قال: «هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق» وساق بسنده عن الضحاك عن عبدالله بن عباس قال: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود؟ وأن له أصلاً في فِعْل وَيَفْعَل.

وذكر بيت رؤبة بن العجاج<sup>(١)</sup>:

(١) كذا في الأصل. والعبارة ناقصة. ونصها: فإن قال لنا قائل فهل لذلك في فِعْل وَيَفْعَل أصل كان منه بناء هذا الاسم؟ قيل: أما سماعاً من العرب فلا. ولكن استدلالاً. فإن قال: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلاً في فِعْل وَيَفْعَل؟ قيل: لا تمنع العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلاً بعبادة الله ويطلب مما عند الله «تأله فلان» بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة. إلخ.

## كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

كتاب : مصدر : كتب يكتب كتاباً وكتابة وكتباً؛ ومدار المادة على الجمع . ومنه : تكتب بنو فلان ، إذا اجتمعوا . والكتيبة لجماعة الخيل ؛ والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف . وسمي الكتاب كتاباً : لجمعه ما وُضع له .

والتوحيد ، نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات . وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الإلهية والعبادة .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ؛ وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى ، وصفاته وأفعاله وأسمائه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده ؛ وإثبات عموم قضائه وقدرته وحكمته ؛ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح ، كما في أول سورة الحديد ، وسورة طه ؛ وآخر الحشر ؛ وأول تنزيل السجدة ؛ وأول آل عمران ، وسورة الإخلاص بكمالها ؛ وغير ذلك .

النوع الثاني : ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَتَّيْنَاهَا الْكَافِرُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وأول سورة تنزيل الكتاب ؛ وآخرها . وأول سورة المؤمن ووسطها ؛ وآخرها ؛ وأول سورة الأعراف ؛ وآخرها . وجملة سورة الأنعام ؛ وغالب سور القرآن . بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ؛ شاهدة به داعية إليه .

فإن القرآن إما أخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي . وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ؛ فهو حقوق التوحيد

ومكملاته؛ وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده؛ وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحلّ بهم في العُقْبَى من العذاب، فهو جزاء من خَرَجَ عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد؛ وحقوقه وجزائه؛ وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهى.

قال شيخ الإسلام: التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله: لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه؛ ولا يوالي إلا له؛ ولا يعادي إلا فيه؛ ولا يعمل إلا لأجله. وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [النحل: ٥١]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنَا بَرٌّ وَأَمَّا يُنْكِرُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ\* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَٰؤُلَاءِ لَٰشَاعِرٍ تَجْنُونَ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]. وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد: مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم؛ كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف. ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد. وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزّهه عن كل ما ينزّه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء؛ لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده؛ فيقرّ بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، و«الإله»: هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على